

الخطبة السابعة والثلاثون حلاوة الإيمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عليه الصلاة والسلام: «ذاق طعم الإيمان» «ووجد حلاوة الإيمان»، ذاق من التذوق، أي شعر به ووجد لذته وحلاوته، والتذوق قد يكون باللسان ويكون بالشعور، والتذوق قد يكون حسيًا أو معنويًا وكذلك طعم الحلاوة، وتذوق طعم الإيمان وحلاوته بالفهم والعمل والتطبيق، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: 6 / 125]، وقال ﷺ: «والله لَيَتَمَنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» البخاري (3612).

وبلال بن رباح يعذب بالشمس المحرقة والرمال المحرقة، والصخرة على صدره والسياط على ظهره، وصوته يدوي (أحدٌ - أحد) إنها لذة الإيمان، قال ابن تيمية: إن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبودية غيره، إذ ليس في القلب المؤمن أحلى ولا أطيب ولا ألد ولا أنعم من حلاوة الإيمان، عن العباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً» مسلم - حم.

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يكره العبد أن يرجع عن الإسلام، كما يكره أن يقذف في النار، وأن يحبَّ العبدَ العبدَ لا يحبه إلا الله» مسلم - حم.

وقال عبادة بن الصامت لابنه، يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال يارب وماذا أكتب، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني» أبو داود (4700).

وهذه قصة ماشطة بنت فرعون لما ذاقت طعم الإيمان وحلاوته، ففضلت حلاوة الإيمان على الدنيا والحياة والأولاد - سبحان الله - اللهم أذقنا حلاوة الإيمان وارزقنا الجنة، اللهم آمين.

قال ﷺ: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها وجدت رائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟ قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها، قلت: ما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: باسم الله، فقالت بنت فرعون: أبي؟ فقالت: لا ولكن ربي وربك ورب أبيك الله، قالت: وإن لك رباً غير أبي؟ قالت: نعم، قالت: فأعلمه بذلك؟ قالت: نعم، فأعلمته، فدعاها فقال: يا فلانة، ألك رب غيري! قالت: نعم، ربي وربك الله الذي هو في السماء، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أخذ أولادها يلقون فيها واحداً بعد واحد، فقالت: إن لي إليك حاجة! قال: وما هي؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد فتدفننا جميعاً! قال: ذلك لك لما لك علينا من الحق، فلم يزل أولادها يلقون في البقرة حتى انتهى إلى ابن لها رضيع فكأنما تقاعست من أجله فقال لها: يا أمه! اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، ثم ألقيت مع ولدها، وتكلم أربعة وهم صغار: هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم» (حم - ن - ك - هب عن ابن عباس).

وإليك هذه القصة التي رواها رسول الله ﷺ لتريك أن حلاوة الإيمان تفوق حب المرء للذهب والفضة، لأن حلاوة الإيمان أغلى وأطيب وألذ، قال ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقاراً، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة بها ذهب، فقال للذي اشترى العقار منه: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب، وقال الذي كانت له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي

تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر لي جارية فقال: أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقوا» (حم - ق - ه عن أبي هريرة).

ومن السلف الصالح من دخل السجن فيقول: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورِلَهُ، بَابٌ بَاطِنُهُ، فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهْرُهُ، مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13 / 57]، يقول ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رحمت فهي معي لا تفارقني، حبسي خلوة وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة الإيمان، المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، والله لو بذلت ملء القلعة ذهباً ما عدل ذلك عندي شكر نعمة الحبس، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، آمين ...

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصبت بمصيبة إلا كان الله عليّ فيها أربع نعم .
1. أنها (أي المصيبة) لم تكن في ديني ومعنى هذا أني لم أتسخط على ربي ولم أكفر بنعمه ولم أتذمر ولو كانت ردة أو استهزاء أو تألي على الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 22 / 11].
2. إن المصيبة لم تكن أكبر مما هي.

3. وأني لم أحرم الرضا عند نزولها كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 157].
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [البقرة: 177].

[157 - 156 / 2]

4. وإنني أرجو ثواب الله عليها عملاً بقوله تعالى: ﴿الْآبَاءُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الذّٰر: 13] الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [البقرة: 177] لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [البقرة: 177]. [يونس: 10 / 62 - 64].

وقال حاتم الأصم (أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان توفي 237 هـ): بنيت توكلي على أربعة أمور:

1. علمت أن الله ناظر إليّ فأنا أراقبه، وهذا هو الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.
2. وعلمت أن رزقي لا يأخذه غيري لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: 32 / 43].

3. وعلمت أن عملي لن يعمله غيري فأنا مشغول به، -4 وعلمت أن الموت يطلبني فأنا مستعد له - البيهقي في الشعب.

حلاوة الإيمان في مجاهدة النفس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (١) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: 91 / 9-10]، وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» حم - ت، ووعدهم من الله سبحانه لمن جاهد نفسه في إقامة الطاعات ومدافعة الشهوات والاستغفار من الزلات، والإنابة بعد العثرات، والتضرع إليه في الظلمات أن يجعله من المحسنين لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 29 / 69].

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد ... إن آثار المعاصي تظهر في:

1. قلة التوفيق
2. فساد الرأي
3. خفاء الحق
4. فساد القلب
5. خمول الذكر
6. إضاعة الوقت
7. نفرة الخلق
8. الوحشة بين العبد والرب
9. منع إجابة الدعاء
10. قسوة القلب
11. محق البركة في الرزق والعمر
12. حرمان العلم
13. لباس الذل
14. ضيق الصدر
15. الابتلاء بقرناء السوء
16. طول الهم والغم
17. ضنك المعيشة ...

حلاوة الإيمان تأتي من الصلاة وكثرة النوافل ... قال في الحديث القدسي: «ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس

المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» البخاري.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين يُقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة» أبو داود، وعن حُمران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: دعا عثمان بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات ثم أدخل يمينه في الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه إلى مرفقيه ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم غسل كل رجل ثلاثاً ثم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ نحو وضوئي هذا وقال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يُحدّث فيهما نفسه غفر الله له ماتقدم من ذنبه» البخاري، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحُسْنَائِ يَذُهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرِينَ﴾ ﴿هود: 11 / 114﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ﴿العنكبوت: 29 / 45﴾، قال صلى الله عليه وسلم: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» البخاري (1970) - مسلم (1156).

حلاوة الإيمان في قراءة القرآن ... قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴿فاطر: 29 - 30﴾، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الإسراء: 17 / 82﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّن فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ فِي جُوهِهِمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبِّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّذِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايِنُهُ فَتَعَرَّفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴿النمل: 27 / 89 - 93﴾، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿الرعد: 13 / 28﴾.

حلاوة الإيمان بالذكر باللسان وبحضور القلب والجنان - والخوف من الديان -

عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند

مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، ذكر الله» ق - ك - ن - ه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خاصاً مخلصاً من قلبه» البخاري، وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» متفق عليه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني فإني سأغفر لك على ما كان فيك، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا للقيتك بقراًها مغفرة، ولو عملت من الخطايا حتى تبلغ عنان السماء، ما لم تشرك بي شيئاً ثم استغفرتني لغفرت لك ثم لا أبالي» مسلم (6737).

حلاوة الإيمان بصحبة أهل الإيمان ... قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 18 / 28]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» مسلم - مسند الإمام أحمد، وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم «زار رجل أخاً له في قرية، فأرصد الله له ملكاً على مدرجته، فقال: أين تريد؟ قال: أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها، قال: لا، إلا أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك إن الله أحبك كما أحببته فيه» حم - م - البخاري في الأدب المفرد.

حلاوة الإيمان في الإيمان وحسن الفهم وحسن التصور، فالإيمان هو العقيدة الصحيحة والفهم الصحيح والتصديق الذي لا شك فيه ولا ريب فيه بأن الله سبحانه خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، وهو المالك لكل شيء، والمدبر لكل شيء، والقادر على كل شيء، والله سبحانه اتصف بالكمال في كل شيء، وهو سبحانه ليس كمثله شيء، المُنْتَزَه عن كل النقائص والعيوب، الخير كله بيده والشر ليس إليه، هو الله الغفور الرحيم، وهو الودود الغفور، وهو الشكور الحليم، والله سبحانه وتعالى

هو الغفور الرحيم وأن عذابه هو العذاب الأليم، أو من بكل ما جاء في قرآنه وجاء به نبيه عليه الصلاة والسلام بالسند الصحيح، أو من بأسمائه وصفاته وأدعوه بها وأتوسل إليه بها، وأبرؤ من حولي وقوتي وكل شيء لي، وألتجأ إلى حوله وقوته، وأعترف بذنبي وتقصيري وقلة حيلتي وإسرافي في أمري، وأعوذ بالله أن أشرك به وأنا أعلم - وأعوذ بالله أن أشرك به وأنا لا أعلم، الله الله ربي ولا أشرك به أحداً، رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وقوله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» أي إن محبة الله وأمر الله ورضا الله سبحانه كما أمر ويين رسوله أحب إلي من الولد والوالد والمال والذهب، وأحب إلي من المعصية وأحب إلي من التكاثر ما استطعت، تفضيل طاعة الله ورسوله على أي شيء وكل شيء، أحب ما أحبه الله ورسوله، وأبغض ما أبغض الله ورسوله، وأعلم أن أكبر سعادة هي القرب من الله في الدنيا والآخرة... وأعلم أن أكبر وأعظم عذاب هو البعد عن الله تعالى، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لِيَأْتَهُمْ لَصَاقُ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: 83 / 16].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

